السياسة الخارجية لمملكة أرمينيا الصغرى تحت حكم أسرة هيثوم وأثرها على صراع القوى في الشرق الأدنى(٦١٧-٦٣٥ه/١٢٢٠-١٢٣٧م)

ريم محمد إبراهيم العنزي[١]

ملخص للبحث باللغة العربية:

لعبت مملكة أرمينية الصغرى دورا بارزا في التاريخ الوسيط، خاصة في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، لما لها من موقع جغرافي مميز بالإضافة لقربها من منطقة الصراع الصليبي الإسلامي في بلاد الشام، ومن ثم تعد السياسة الخارجية لمملكة أرمينيا الصغرى تحت حكم أسرة هيثوم وأثرها على صراع القوى في الشرق الأدنى (٦١٧-٦٣٥ه/١٢٢٠-١٢٣٧م)، من الموضوعات الهامة ، إذ في الوقت الذي واجهت فيه أسرة هيثوم تحديات داخلية هامة، تعرضت في الوقت نفسه وفي ظل الصراع الدائر في الشرق الأدنى ، كان على هيثوم وأسرته التعامل مع خطر السلاجقة الطامعين بزعامة سلطانهم علاء الدين كيقباذ في الأراضي الأرمينية ، كذلك تأثرت تلك الأسرة بأحداث الصراع الصليبي الإسلامي .

Summary

The Kingdom of Minor Armenia played a prominent role in medieval history, especially in the seventh century AH / thirteenth century AD, because of its distinctive geographical location in addition to its proximity to the area of the Islamic Crusader conflict in the Levant, and thus the foreign policy of the Kingdom of Lesser Armenia under the rule of the Haithum family and its impact On the power struggle in the Near East (617-635 AH / 1220-1237 AD), one of the important issues, since at a time when the Haithum family faced important internal challenges, it was exposed at the same time and in light of the ongoing conflict in the Near East, Haithum and his family had to

[١] باحثه دكتوراه-كلية الاداب-قسم التاريخ- جامعة الملك سعود.

deal with The danger of the greedy Seljuks under the leadership of their sultan Alaeddin Keykubad in the Armenian lands, and that family was also affected by the events of the Islamic Crusade conflict.

عندما توفى الملك ليو الثاني في ٩ صفر٦١٦ه/٢ مايو١٢١٩م ،أوصى قبيل وفاته بعرش مملكة أرمينية الصغرى أبنته الصغرى إيزابيلا ، وذلك بحضور جريجوري السادس جاثليق الأرمن وكبار رجال المملكة، تحت وصايه أدم حاكم بغراس ،هو ما أغضب ريموند روبن – أبنه بالتبني – الذي لجأ إلي فهرام في قليقلية لمساعدته حيث وافق الأخير شريطة أن يتزوج من أليس Alic– أم ريموند– التي وافقت مكرهة نظرا إلي ظروف أبنها ومصلحته[١] ومن ثم تحمس فهرام لقضية أبن زوجته ، وجمع ما يقرب من خمسة ألاف من المعارضين ، وتحرك بهم يرافقهم ريموند روبن ألى مدينة المصيصة ، وفي الوقت نفسه ، حدث وأن قتل أدم الوصي على المملكة على يد جماعة الحشيشية في عام ٦١٨ه/١٢٢١م [٢]ليتولى الوصاية قسطنطين ابن باسيل ابن عم الملك الراحل ليو الثاني[٣].

---

[١] ابن العبري: تاريخ الزمان ، نقله من السريانية الى العربية: الأب إسحق أرملة، وصدر تباعا في مجلة المشرق (١٩٤٩–١٩٥٦م)،قدم له الأب جان موريس فييه، دار المشر ،بيروت ١٩٨٦م، ص٢٦٢. ايضا:
Vahram ,Le Grand LHistore Universsell in R.h.C.Doc.arm.vol.I.
,p.514.note.2;CF.also: Rene Grousset., Histore des Croisades et du Royaum France de Jerusalem, 3 Toms, (Paris, Librairi Plon, 1984),3,p.226.

[٢] ابن العبري: تاريخ الزمان ، ص٢٦٣. ايضا:
Sempad,Le Cannetable,Chronique, in R.H.C.Doc.arm.vol.I,p.645.

,p.645; Eracles, L' Estoire de Erac1es Empereur et la conqueste de la Terre d' Outre-mer, R.H.C. - H. Occ, T.Il, (Paris, 1859),p.347;Cf.also: Rene Grousset., Histore des Croisades et du Royaum France de Jerusalem, 3 Toms, (Paris, Librairi Plon, 1984),3,p.267;Kurkjian,A history of Armenian, Armenian General ,1958.p.241.

[٣]ابن العبري: تاريخ الزمان ، ص٢٦٣ .راجع ايضا: ستيفن رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية،ترجمة: السيد الباز العرينى، ط٣، بيروت ١٩٩٣م ،ج٣،ص٣٠٦ .
Boase,T.S., The Cilician Kingkom of Armenia,London,1979,,p.22.

على أيه حال، وعلى الرغم من أن قسطنطين لم يكن معه سوى ثلاثمائة فارس فقط ، إلا انه القى خطبة حماسية في أتباعه ، رفعت من معنوياتهم ، فهاجموا قوات ريموند روبن وفهرام ونجحوا في إلحاق الهزيمة بهم[١] ثم حاصرهم في مدينة طرطوس وما لبث وأن أقتحمها وتم قتل فهرام وريموند [٢].

الجدير بالذكر،أنه لم يكن ريموند روبن هو الوحيد الطامع في عرش مملكة أرمينية الصغرى ،بل كذلك كان حنا دي برين ملك بيت المقدس، فوجدنا وقد توجه عقب وفاة ليوالثاني الى الشمال مطالبا بحق زوجته ستيفاني – الأبنه الكبرى لليو – وأيده في ذلك البابا هونوريوس الثالث Honorius III (٦١٣-٦٢٤هـ/١٢١٦-١٢٢٧م) [٣]، ولكن تصادف في تلك الفترة وفاة ستيفاني في ذي القعدة ٦١٦هـ/١٢٢٠م،مما جعل حلمه حكم مملكة أرمينية يتبدد[٤].

ما لبثت الأحداث التي مرت بمملكة أرمينيا أن أظهرت خطر اخر يهدد تلك المملكة، وهو خطر سلاجقة الروم الذين حاولوا الإستفادة من الأحداث الداخلية المتوترة في المملكة الأرمينية،والتوسع

---

(١) Sempad,Le Cannetable,Chronique,,p.646.

(٢) Vahram,p.514;Cf.also: Boase,The Cilician Kingkom,p.23.

(٣) عندما تُوفِّي البابا إنوسنت الثالث Innocent III (٥٩٥-٦١٣هـ/١١٩٨ -١٢١٦م)، خلفه على كرسي البابوية الكاردينال سنسيوس Seinsiuos تحت اسم هونوريوس الثالث Honorius III وكان قد شغل مناصب دينية عدة قبل ذلك، واشتهر منذ البداية بنجاحه في حل المشكلات التي واجهت الكنيسة في أوروبا في بداية القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري، انظر:

Hans Kuhner, Encyc1pedia of the Papacy, (London, 1959)., pp.86-87.

(٤) -

- Oliver of Poderborn. The Capture of Damietta. trans. John.J. Cavigan, (Philadelphia, 1948),p.103. ; Eracles, L' Estoire,p.349.

على حسابها بإتجاه الغرب والجنوب[١] وراى السلطان علاء الدين كيقباذ ان الفرصة قد حانت ليضمن أمان ومقدرة مدينة أنطاليا[٢]التي تم فتحها حديثا على الصمود والأستمرار وذلك بفتح كلونوروس البيزنطية القديمة ، وحولها إلي ميناء نشط، والتي تمتاز بإشرافها على الطريق البحري الذي يربط حنوبي اسيا الصغرى بمصر[٣] وكان الأرمن قد أستغلوا ميزتها الإسترتيجية،ففرضوا ضرائب على السفن التي تبحر إلي مصر، وبذلك ضربوا إقتصاد الدولة السلجوقية ، وهذا ما لا يمكن أن يغفره السلاجقة،خاصة وأن دولتهم من الدول التجارية الكبرى[٤]

جهز السلطان علاء الدين كيقباذ جيش ضخم للغاية للإستيلاء على كلونوروس في نهاية ٦١٧ه/١٢٢٠م ، وقسمه إلي فرقتين الفرقة الأولى هاجمتها برا بالمجانيق، والثانية هاجمتها من البحر[٥] وبلفعل نجح السلطان السلجوقي علاء الدين في الإستيلاء على كلونوروس ، وتغير إسمها إلي العلائية نسبة إليه ، وجعلها مقره الشتوي[٦] وبذلك أصبح وضع مملكة ارمينية في خطر يتمثل في علاء الدين كيقباذ أقوى سلاطين السلاجقة[٧]

---

[١] أبن بيبي: أخبار سلاجقة الروم،مختصر سلجوقنامة ، ترجمة: محمد سعيد جمال الدين،الدوحة ١٤١٤م/١٩٩٤م ، ص١٢٠ ؛ راجع ايضا:محمد طقوش:تاريخ سلاجقة الروم في اسيا الصغرى،دار النفائس ،بيروت ٢٠٠٢م، ص٢٤٤.

[٢] ميناء مهم للدولة السلجوقية على البحر الأبيض المتوسط (البحر الرومي) انظر: القلقشندي:صبح الأعشى، ج٥،ص٣٤٥.

[٣] أبن بيبي: مختصر سلجوقنامة، ص١٢٠-١٢١ ؛ راجع ايضا:محمد طقوش:تاريخ سلاجقة الروم ، ص٢٤٤.

[٤] أبن بيبي: مختصر سلجوقنامة، ص١٢٠-١٢١ ؛ راجع ايضا: حسين عطية:إمارة إنطاكية والمسلمون(١١٧١-١٢٦٨م)،الإسكندرية ١٩٨٩م، ص٣١٦؛محمد طقوش:تاريخ سلاجقة الروم ، ص٢٤٤.

[٥] أبن بيبي: مختصر سلجوقنامة، ص١٢١

[٦] أبن بيبي: مختصر سلجوقنامة، ص١٢٥ ؛ راجع ايضا: حسين عطية:إمارة أنطاكية ، ص٣١٦

[٧] حسين عطية:إمارة أنطاكية ، ص٣١٦

مع إزدياد خطر السلاجقة، دعى قسطنطين – الوصي على المملكة– إلى إجتماع طارىء في ربيع ثاني٦١٩ه/مايو١٢٢٢م، حضره كبار البارونات في البلاد، وأتفقوا على أن الحل يكمن في البحث عن زوج لإيزابيلا ليكون ملكا على البلاد[١] وبعد عرض عدد من الأسماء أستقر الأمر على أحد أبناء بوهمند الرابع ، المدعو فيليب ليكون زوجا لإيزابيلا ، وملكا على مملكة أرمينية، ومن ثم يتم التقارب من بوهيمند الذي يستطيع تقديم المساعة لأرمينية وقت الحاجة[٢]ليكون إتحاد الدولتين المسيحيتيين ،مملكة أرمينيا الصغرى وإمارة أنطاكية هو الهدف لمقاومة السلاجقة[٣].

بناءا على ما تقرر في الإجتماع السابق، تم الزواج بين فيليب وأيزابيلا وريثة عرش أرمينية الصغرى، وتوج فيليب ملكا على ارمينية الصغرى في جمادي الأول ٦١٩/يونيو١٢٢٢م[٤] وحاول السلاجقة إستغلال الموقف وقاموا بمهاجمة الأراضي الأرمينية الغربية،وقاموا بقتل الأهلي وإجراء عمليان تنهب وسلب ، وبمجرد علمهم بقدوم بوهيمند الرابع بقواته أنسحبوا على الفور[٥].

على كل حال، كان للتصدي لهذا الهجوم محوبا لفيليب في بداية حكمه ، بصفته ملكا لأرمينية الصغرى ، وقد سار في البلاد سيرا حسنا لمدة عامين ، تميز حكمه خلالها بالهدوء والإستقرار ، فأستحق بذلك رضا رجال الدولة والشعب[٦] ،ولكنه ما لبث وان تغيرت سياسته كليا ،فقد أخذ يعنز

---

(١) Sempad,p.647.

(٢) حسين عطية:إمارة أنطاكية ، ص٣١٦–٣١٧.

(٣) Boase,The Cilician Kingkom,p.23.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان ، ص٢٦١ ايضا:
Samued d Ani,Extrait de le Chrographie,p.460 Sempad,p.647 Hayton,Table Chrographie,p.460.

(٥) Oliver of Poderborn. The Capture of Damietta.p. 137 .
وايضا: حسين عطية: إمارة أنطاكية، ص ٣١٧.

(٦) Sempad,p.647 Guiragos de Kantzag,Hist.of Armenia,vol.II,p.428.

بلاتنيته ، ويمقت كل شيء أرميني ، بل وأخذ يحتقر الأرمن وينظر إليهم على أنهم من عرق أدنى[١] وأخذ يعمل على فرنجة المملكة الأرمينية،وهذا ما لايقبله الأرمن بأي حال من الأحوال[٢]. ما لبثت وأن قامت التورة في المملكة الأرمينية ، وقموا بمهاجمة مقر فيليب وقبضوا عليه وتم إلقاؤه في السجن وذلك غي ٦١٩ه/١٢٢٤م[٣].

قرر السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ تأديب الأرمن وعقد إجتماع مع قادته في خريف ٦٢٢ه/١٢٣٥م ، وفسم جيشه الى ثلاث فرق الأولى بقيادة مبارز الدين أرتقش حاكم أنطاليه، والثانية بقيادة مبارز الدين جاولي جاشنكير ، والثالثة بقيادة الأميركونينوس ، وتقدمت تلك القوات بإتجاه الأراضي الأرمينية[٤] وبالفعل أستولى على عدد من القلاع وايضا منطقة مرعش[٥].

على ايه حال ، قرر قسطنطين البحث عن زوج لإيزابيلا وعقد اجتماع بهذا الشأن في طرطوس سنة ٦٢٣ه/١٢٦٦م، ليكون الزوج المنتظر ملكا للبلاد خلفا لزوجها الراحل فيليب ، الذي توفي عقب القبض عليه وسجنه، ليفاجأ قسطنطين الجميع، ويعلن ترشيح أبنه هيثوم ليكون زوجا لإيزابيلا ، ونظرا لأن الجميع لم يكن لديه إختيار اخر فقد تمت الموافقة على هذا الإختيار[٦] ولكن إيزابيلا رفضت هذا الإختيار ، وهربت إلي قلعة سلوقية حيث يوجد فرسان الإسبتارية[٧] وحاول قسطنطين

---

(١) Sempad,p.647.

(٢) Cahen Chen,La Syrie de Nord,Paris,1940,p.63.

(٣) ابن العبري :تاريخ الزمان، ص٢٦٢، وعن تفاصيل تلك الأحداث،حسين عطية: إمارة أنطاكية،ص٣١٨.

(٤) أبن بيبي: مختصر سلجوقنامة، ص١٥٧.وايضا: Turan,Selcuklulia Zamaninda,p.344.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج١٢،ص ٤٦٥: أبن بيبي: مختصر سلجوقنامة، ص١٧٠.

(٦) **أبن العبري: تاريخ الزمان،ص٢٧١.**

(٧) Guiragos de Kantzag,Hist.of Armenia,vol.II,p.429.

إقناعها بالزواج من ابنه ، ورفض الإسبتارية التخلي عن إيزابيلا ، قائلين أنهم لا يستطيعون تسليم أمراه أستجارت بهم [١]

اخيرا وجد قسطنطين حلا للمشكلة ، وهو أن يشترى من الإسبتارية قلعة سلوقية بكل ما فيها[٢]، فقدم لهم عرضا مغرية أدهشهم فوافقوا عليها[٣]، ومن ثم دخل قسطنطين القلعة فارغم ايزابيلا على الرحيل معه إلى طرطوس، وأجبرها على الزواج من ابنه هيثوم يوم الاثنين ١٠ جماد ثان ٦٢٣هـ / ١٤ يونيو ١٢٢٦م، وأقام لها حفل زواج ضخم حضره رجال الدين والدولة، وكللهما بالتاج الملكي، وأدي الملك هيثوم الأول القسم أمام الجميع على التمسك بالعدالة وحماية حقوق الفقراء ورفع الظلم عنهم[٤]. وبوصول هيثوم إلى عرش أرمينية الصغرى يكون قسطنطين قد حقق هدفه منذ توليه

---

[١] أبن العبري: تاريخ الزمان،ص٢٧١.

[٢] Sempad, 648. CF. also, Grousset, Hist. des Croisades, Tom.3. P.269

ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٢٧١

[٣] كانت قلعة سلوقية او سلفكة عبئا كبيرا على فرسان الاسبتاريه حيث أجبرتهم على مواجهة السلاجقة في الجهات الغربية في كل مرة، إضافة إلى أن مملكة ارمينية الصغرى لم تعد ارضا خصبة لتعيش فيها الجماعة منذ وفاة الملك (ليون الثاني)، ولقد أدرك ذلك مقدم فرسان الاسبتاريه جاران مونتاجيو الذي زار طرطوس في جماد اول ٦٢٢هـ / يوليو ١٢٢٥م، وتمكن من رؤية أوضاع المملكة عن قرب وتعرف على الحالة الصعبة التي تمر بها البلاد ولذلك بمجرد ان طلب منهم الوصي على المملكة شراء القلعة وافقوا على الفور على البيع بدون مساومة، انظر:

King.J., The Knights Hospitaliers in the Holy Land,London,1931,p.201: Cahen, la Syrie du Nord, P.635

[٤] ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٢٧١

Samuel d'Ani, Extrait de Le Chrongraphic, , in R.H.C.Doc.arm.vol.I, 1.460. Guirgos de Kantant. Hist. d'Armenie, P429, Vartan, L'Hist Universselle, P.443. Vahram Rabuni, Chronicle, P.517-518: Hayton, Table Chronologique, P.485. CE, also, Bone, The Cilician Kingdom, P.24

الوصاية على إيزابيلا، وهو وصول عائلته الهيثومية إلى عرش مملكة أرمينية الصغرى، وإنهاء الصراع القديم بين الهيثوميين والروبينيين. [١]

وبذلك كان هيثوم بن قسطنطين هو أول ملوك ارمينية من الهيثوميين، وعرف بهيثوم الأول ودام حكمه لمدة خمسة وأربعين عاما، وكان من أعظم ملوك أرمينية الصغرى، إلا أن إيزابيلا ظلت عشر سنوات ترفض الاعتراف به زوجا، ولكنها بعد هذه المدة أدركت أنه رجل عظيم وساهمت معه في الأعمال الخيرية في البلاد، وعرفت إيزابيلا بتواضعها وتدينها، وعطفها على الفقراء وقربها منهم[٢]

وقد تميز عهد هيثوم في البداية بهيمنة والده الكاثوليكوس قسطنطين الذي فرض نفوذه على أجهزة الدولة، فكان هو الحاكم الفعلي والمتصرف في كافة شئون البلاد وأول ما اهتم به العمل على التخلص من خصومه ومنافسيه بشتى الأساليب من النفي أو القتل[٣]. وجعل ابنه سمباد قائدا عاما للقوات العسكرية، ومنح ابنه أوشين قلعة جورجوس، وبعد ذلك جعل جميع مراكز قوى الدولة والتحكم بشؤونها بين الأسرة الهيثومية[٤]

وعندما انتهي من إخضاع أجهزة الدولة من الداخل تفرغ للسياسة الخارجية والتي بدأت بداية مشئومه حيث افتتحت بالدخول في تبعية السلاجقة حيث أرسل الكاثوليكوس والوصي على المملكة

---

(١) Der Nersessin, The Armenians, P48.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٢٧١

(٣) Guimagos de Kanzag. Hist. d' Armenia.P.429

(٤) كان لدي قسطنطين ثلاثة أبناء أخرين غير الذين ذكروا، وهم يازيل Basile سيد دير تراو Tnjury ولأنه رجل دين فانه لم يكن له أي دور سياسي ، والأخران فما لجوسligos ، وامون وهما لم يمثلا سوى دورا ضئيلا وشبه مجهول في المملكة. انظر:

Guiragos de Kantza. Hist. d'Armenie, P.429. nos.; Dulaurier, Introduction Semped Le Connetable, P605.

إلى علاء الدين كيقباذ يعرض عليه الدخول في تبعيته[١] ، وحتى يرضى عنه ويأمر الجيوش السلجوقية بالرحيل عن الجهات الغربية للمملكة التي كانت مرابطة فيها والتي تمكنت من الاستيلاء على الكثير من القلاع، وأهم ما تضمنه هذا العرض من قسطنطين أن يلتزم كل سنة ان يمد الجيش السلجوقي بألف وخمسمائة فارس، وأن يضاعف الخراج السنوي، وأن يصك العملة الأرمينية باسم السلطان السلجوقي علاء الدين كقباذ. [٢]

قبل السلطان علاء الدين كيقباذ بهذه العروض التي جاءت لصالحه بعد أن استطاع أن يضم اغلب المنطقة الغربية للمملكة الأرمينية لبلاده وأن يجبر الملك الجديد على الدخول في طاعته وتبعيته، وأرسل موافقة إلى قسطنطين والى رجاله المرابطين في الأراضي الأرمينية الغربية يأمرهم بالتوقف عن فتح القلاع المتبقية والاكتفاء بما تم فتحه، وأمر أيضا بأن يتم استيفاء أموال التجار منها وان تسلم القلاع وقيادتها إلى الأمير السلجوقي أمر الدين أحد قواد الجيش السلجوقي[٣]. والسبب الذي جعل كيقباد يقبل عرض الأرمن على الرغم من مقدرته تحقيق نجاحات أكثر من هذه على حساب المملكة الأرمينية وذلك لأنه ترك بعد أن أثبتت له التجارب سهولة ابتلاع مملكة أرمينية الصغرى متى تسنى له ذلك واكتفى بتبعيتها وانصرف الى تأمين طرق القوافل التجارية من ناحية الشرق. [٤]

---

[١] Sempad, P.648; Guimagos de Kantzag. His d'Armenie, P.429. CF. also, Turan, Anatolia The period of the Soljouks, and Beyliks, P.247.

[٢] سكت العملة الارمينية باسم السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ على وجه منها وعلى الوجه الاخر صورة الملك هيثوم الأول ممتطى جوادة وفى يده صولجان براس كرة ذهبية، وعلى يمينه هلال وعلى يساره صليب، انظر:

أبن بيبي: مختصر سلجوقانامة، ص ١٧٣.

[٣] أبن بيبي: مختصر سلجوقنامة ، ص ١٧٣؛ راجع أيضا

Turan, Selcuklular Zamaninda, P345.

[٤] أبن بيبي: مختصر سلجوقنامة ، ص ١٩٨.

بعد أن حقق قسطنطين الصلح مع السلاجقة بالتبعية لهم، أخذ يطلب رضا البابا هونوريوس الثالث، وكانت علاقته به متوترة منذ تولي الوصاية على إيزابيلا وعرش أرمينية، وذلك بسبب اضطهاده لرئيس اساقفة طرطوس والمصيصة اللاتين، بل وطردهم من المملكة، مما اغضب البابوية، فأرسلت في ٤ محرم ٦٢٢هـ/ ١٦ يناير ١٢٢٥م، خطابا إلى نائب رئيس كنيسة بيت المقدس تأمره باتخاذ إجراءات لمعاقبة كاثوليكوس الأرمن قسطنطين على أفعاله. (١)

مهما يكن من أمر، فإن قسطنطين أدرك أنه لا جدوى من معاداة الكنيسة الرومانية المقدسة، حتى لو كان ينتمي للعائلة الهيثومية التي تتميز بالتمسك بالروح القومية الأرمينية والولاء لبيزنطة، لذلك أخذ يسترضي البابا هونوريوس الثالث، فأرسل له رسائل باسم ابنه الملك هيثوم الأول، يجدد فيها تبعية الكنيسة الأرمينية لروما(٢). وكذلك حرص قسطنطين وابنه الملك هيثوم الأول على استمرار العلاقة الطيبة مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة والتي بفضلها تحولت أمارة أرمنية الصغرى إلى مملكة، فأرسل أيضا رسائل باسم ابنه الملك هيثوم الأول إلى الامبراطور فريدريك الثاني خطبا يؤكد فيه استمرار ولاء وتبعية مملكته للامبراطورية الألمانية(٣).

لتأكيد اهتمام قسطنطين وجديته بذلك حرص على استمرار العلاقة العملية مع فرسان التيوتون الألمان في مملكة أرمينية، فلم يتزعزع مركزهم بعد وفاة حليفهم الملك ليو الثاني على الرغم من الظروف الصعبة التي مرت بها المملكة، وما ذلك إلا أن قسطنطين كان حليفهم الذي لا يقل اهتماما بهم عن حليفهم السابق ليو الثاني، وقد تبادلوا مع قسطنطين المصالح المشتركة، ودعوا سياسته و

---

(١) Sempad, P.648

(٢) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٣٠٨

(٣) Sempad, P.648

راجع أيضا: ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٣٠٨.

أيدوه ضد فيليب الأنطاكي، الذي قتل بعلم منهم وفي أحد قلاعهم في المملكة وتكتموا عن مكان دفنه في عام ٦٢٢هـ، ١٢٢٥م،[١] وفي جزيرة قبرص عندما هزم حلفاء الإمبراطور فريدريك على يد أعدائه الإيبليين في ٦١٨هـ / ١٢٢١م، ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م، لم يجدوا ملجا لهم إلا مملكة ارمينية الصغرى، حيث استقبلهم الملك هيثوم الأول استقبالا حسنا، إلا أنه لم يستطع أن يقدم لهم أكثر من ذلك، لأن المملكة كانت قد تقلصت حدودها على أيدي السلاجقة التين هيمنوا عليها، وكانت تعاني من الضعف. [٢]

وفي سياق السياسة الخارجية إزاء القوى الصليبية ، فأن علاقة مملكة أرمينية الصغرى مع فرسان الداوية تختلف عن علاقتها مع فرسان التيوتون حيث كان يشوبها كثير من الشك والحذر[٣]. وذلك على خلفية عدة وقائع وأحداث، منها أن أمير أنطاك ية وطرابلس بوهيمند الرابع عندما سار

---

(١) Riley Smith, The Templars and The Teutonic, P.113.

(٢) منذ وصول الامبراطور فريدريك الثاني الى جزيرة قبرص في ١٦ شعبان ٦٢٥هـ ، ٢١ يوليو ١٢٢٨م وفى طريقة الى الشرق عقد اتفاقية مع حنا ابلين الوصي على عرش قبرص انتقلت بموجبها الجزيرة الى فريدريك الثاني، فعين فيها نائبا عنه، وبعث الحاميات في مختلف قلاع الجزيرة ، وعين موظفين ماليين لجمع الضرائب ، وعاد اليها بعد رحيلة من الشرق فعين كذلك خمسة من القبارصة، المعروفين بعدائهم لبيت ابلين، وقد قاموا بإجراءات وتصرفات تعسفية عند جمع الضرائب، مما دفع السكان للاستنجاد بحنا دي ابلين في الشام ، فبادر لمساعدتهم وحدثت موقعه بينه وبين الاوصياء الالمان في ٢٠ شعبان ٦٩٦هـ ، ٢٤ يوليو ١٢٣٩م، فهزمهم ولكن فر احدهم ويدعى وليم ريفيه الى قيليقية يطلب مساعدة الملك هيثوم الاول ، ولكنه ما لبث ان مات هناك وصمم الامبراطور فريدريك الثاني على الثأر لنوابه في قبرص فارسل نائبة ريتشارد الى قبرص، فجرت بينه وبين حنا دي ابلين عدة وقائع انتهت بمعركة أجريدي ٦٢٩ه/١٢٣٢م التي انهزم فيها ريتشارد وفر الى مملكة ارمينية الصغرى فلم يجد مساعدة رحل الى أوروبا. انظر: ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٣١٢-٣٤٣، سعيد عاشور: الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٩٦م، ج٢، ص ٨٠٥-٨٠٦، حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرسان التيوتيون، ص ٢١٩؛

Der Nersesan, Hist. of Cyprus, P.612-613.

(٣) Riley smith, The Templars and The Teutonic, P.109.

إلى قيليقية ليثأر لدم ابنه فيليب عام٦٢٢ هـ / ١٢٢٥م، قد مر بأراضي الجماعة في الأمانوس، وفي الحقيقة هم لم يقدموا له أي مساعدة، لكنهم في نفس الوقت لم يمنعوه[١] وبدلا من عمل الملك هيثوم الأول وأبيه على تحسين هذه العلاقة إلى الأفضل من أجل مصلحة المسيحيين جميعا في شمال الشام، وتوفير مجهودات عسكرية كانت الجماعة بحاجة لها خاصة وأن أملاكهم في شمال الشام قد استبعدت من اتفاقية يافا[٢]

لأن الأهداف الدينية والمصلحة العامة لم تكن تعني الملك هيثوم وأبيه شيئا مهما حتى يعملوا من أجلها، إضافة إلى أنهم لا زالوا يطمعون في قلعة بغراس التي كانت في يوم من الأيام من أملاك الأرمن طما لا يقل عن طمع المسلمين فيها[٣]. لذلك استغل قسطنطين وضع المملكة وعجزها وعدم قدرتها عن القيام بأعمال هجومية ضد المسلمين سواء كانوا السلاجقة أو الأيوبيين في شمال الشام[٤]، في التجسس على فرسان الداوية في المملكة، وفي سنة٦٣١هـ/١٢٣٣م، قبض على بعض أفراد الجماعة، واتهمهم بتهمة التجسس في بلاده، وتدبير مؤامرة ضده هو وابنه، فأعدمهم ومثل بهم[٥].

رأت البابوية أن الصراع الأرمني –الصليبي يضر بمصلحة المسيحيين عامة، وسيكون ذلك لصالح المسلمين، ولكن نداء البابا لم يلق استجابة لدى أطراف النزاع، فظل الوضع في حالة من

---

(١) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ١٣٠٨ حسين عطية: إمارة أنطاكية، ص ٣٢١.

(٢) قد اورد حسين عطية موضوع استبعاد أملاك فرسان الداوية والأسبتارية وإمارة أنطاكية من اتفاقية يافا بالتفصيل. أنظر: حسين عطية: إمارة أنطاكية، ص ٢٣٩ وما بعدها.

(٣) Grousset, Hist. des Croisades, Tom. 3, P.363

(٤) حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص ٣٥٠

(٥) انفرد بذكر هذه الرواية تاريخ هرقل ولم تذكرها المصادر الأرمينية شأنها شأن كثير من الأحداث التي حدثت في بداية عهد الملك هيثوم الأول، أنظر:

Eracles, L'E stoires, P.405.

التوتر، وكذلك كان الصراع قائمة بين المسلمين في حلب وفرسان الداوية، وكان لقسطنطين كاثوليكوس الأرمن دور في إثارة هذا الصراع الإسلامي –الصليبي، فكما ذكر سابقا، فإن العزيز صاحب حلب قام بهجوم على قلعة بغراس بتحريض من الكاثوليكوس قسطنطين عام ٦٢٣هـ/١٢٢٦م [١]، ومنذ هذا الوقت بدأ الطرفان في تبادل الغارات والاعتداءات، إضافة إلى أن العلاقة بينهما ليست بحاجة إلى توتر لأنه أصلا قائم بسبب القرب الجغرافي بين القلعتين، حيث أن المسافة بين القلعتين لا تتعدى عشر كيلومتر. [٢]

إلا أن تحريض قسطنطين كان سبب مهم من الأسباب الذي أججت الحرب بين صليبي بغراس ومسلمين دربساك ، مما جعل فرسان الداوية ينتظرون أي فرصة لكي يستغلوها ضد المسلمين في بغراس وحلب ، وجاءت هذه الفرصة التي يتمنونها في ربيع أول ٦٣٤ه/١٢٣٧م حين توفي الملك العزيز صاحب حلب وآل الحكم من بعده إلى ابنه الناصر يوسف الثاني تحت وصاية عمه توران شاه وجدته ضيفه خاتون ، واضطربت أمور حلب ، حيث ساد الخوف من أطماع الملك الكامل الأيوبي فيها[٣] فاستغل الداوية الوضع وهاجموا التركمان في منتصف ٦٣٤هـ، أوائل ١٢٣٧م، في إقليم العمق ، فنهبوا كثيرا من الأموال والمواشي[٤] فجاء الرد من مسلمي حلب سريعا، فقد خرج الملك الناصر بعسكر إلى قلعة بغراس، فحاصرها مدة، حتى نفذت موارد الداوية وكادوا يستسلمون لولا تدخل بوهيمند الخامس أمير أنطاكية للصلح بين الطرفين، الداوية حلفاؤه والحلبيين وكانت علاقته بهم

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤٦٥–٤٦٦؛ ايضا:

Sempad, P.648.

(٢) Grousset, Hist. des Croisades, Tom.3, P.364.

(٣) ابن العديم: زبدة حلب ، ج ٣ ، ص ٢٢١ ،٢٢٠–٢٢٦؛ متى باريس ، التاريخ الكبير ، أربعة أجزاء ، في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ٢٠٠١م ،ق ١ ، ٦٩ .

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٠.

طيبة، فقبل الملك الناصر الصلح فرحل بعسكره عن قلعة بغراس، ولو أقاموا عليها يومين آخرين لما استطاع من فيها الصبر عن المدافعة[١].

لكن فرسان الداوية كانوا يحتاجون درسا أقوى لكي يتعلموا منه، لذلك لم يرض قائدهم وليم دي مونتفرات Guillaume de Montferrat في إمارة أنطاكية بهذه الهدنة، ولذلك قاد حملة بمساعدة جي حاكم جبيل في ذي الحجة ٦٣٤هـ/ يونيو ١٢٣٧م وسار إلى قلعة دربساك فضرب عليها الحصار[٢]فأرسل الأسرى الفرنج في القلعة إلى قائد الداوية ومن معه يحذرونهم من مغبة هذا الحصار، وأن عسكر حلب مستعدين للمواجهة استعدادا قويا ، واقتنع بهذا النداء كثيرة من فرسان الداوية ، فحاولوا إقناعه بالتراجع ، ولكنه اتهمهم بالجبن والتخاذل، فرحلوا وتركوه لمصيره[٣]. ووصلت على الفور نجدة من حلب ونزل عسكر القلعة للمواجهة، ووضعت القوات الإسلامية السيف في الصليبيين، فلم ينج منهم إلا القليل، وكان من بين قتلاهم وليم دي مونتفرات نفسه[٤] وكان لهذه الموقعة صدى كبيرة في أوربا[٥] وبعد هذه الهزيمة فقدت جماعة الداوية شجاعتها وضعفت معنوياتها، فلم تقم بعدها بأي عمل عدواني ضد المسلمين في حلب السنوات عديدة

وهكذا ساهمت مملكة أرمينية الصغرى على يد قسطنطين في إضعاف جماعة فرسان الداوية في شمال الشام، وهم الجماعة العسكرية التي طالما أثارت قلق المسلمين، لما كانت تقوم به من

---

(١) ابن العديم: زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٠-٢٣١ ؛ راجع أيضا: حسين عطية: إمارة أنطاكية ، ص ٣٥٣.

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ ، مئى باريس: التاريخ الكبير ، ق١، ص ٦٩-٧٠.

(٣) متى باريس: التاريخ الكبير، ق ١، ص ٧٠. راجع أيضا: حسين عطية: إمارة أنطاكية، ص ٣٥٥.

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣١-٢٣٢؛ متي باريس: التاريخ الكبير ، ق١ ، ص ٧٠

(٥) متى باريس: التاريخ الكبير، ق ١، ص٧١؛ ابن العديم: زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٢
راجع أيضا: حسين عطية: إمارة أنطاكية، ص ٣٥٥.

الغارات العسكرية عليهم، وكان عمل قسطنطين على إضعاف الداوية خدمة كبيرة قدمها للمسلمين في بلاد الشام.

ويتضح مما سبق أن علاقات مملكة أرمينية الصغرى مع الصليبيين في شمال الشام أصبحت سيئة، وفي حالة توتر دائم، ولا شك أن لذلك آثار سلبية على علاقات أرمينية مع العالم المسيحي عامة، ويبدو أن الملك هيثوم الأول أراد أن يعوض خسارة العلاقات مع الصليبيين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أعداءه كانوا في تزايد، فأراد أن يجد له بعض الحلفاء، فأخذ يتقرب من جماعة فرسان التيوتون، وكانت تربطه بهم علاقات طيبة، وهدفه أن يكسبهم إلى جانبه، لذلك قدم لهم في ١١ من جمادى الأول ٦٣٣هـ/٢٢ يناير ١٢٣٦ مدينة الهارونيه[١]وتوابعها كمنحة[٢].

علل هيثوم الأول هذه الخطوة بأن فرسان التيوتون يؤدون واجبهم في محاربة أعداء المسيح، وأنهم يقومون بأعمال خيرية، كرعاية المرضى والفقراء، وجعل الضرائب التي تفرض عليهم من قبل الدولة تجبي مناصفة بينه وبينهم، وإذا رغبوا في عدم دفعها فلهم ذلك. [٣] ومصلحته في ذلك أن هذه المنحة ستلقي على الجماعة مهمة حماية الجهات الشرقية لمملكة أرمينية، لأن قلعة هرونية تتحكم بالطريق المؤدية إلى مرعش وملطية[٤]، وإضافة إلى ذلك أعلن أنه خادم لهذه الجماعة، ومنحهم حق التمتع بنفس حقوق الأمراء الأرمن، فكان ذلك سبية لنشوب مشاكل بينهم وبين الأمير قسطنطين حاكم

---

(١) الهارونية ، مدينة صغيرة قرب مرعش من الثغور الشامية في طرف جبل اللكام . انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥ ، ص ١٣٨٨ الأصطخري: المسالك والممالك ، تحقيق جابر عبد العال الحسيني ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٣١٨هـ – ١٩٦١م، ص ٤٧ .

(٢) حسن عبدالوهاب: تاريخ جماعة فرسان التيوتون في الاراضي المقدسة ، الاسكندرية ،١٩٨٩م ، ص ١٥٤-١٥٦.

Röhricht, R., ed. Regesta Regni Hierosolymitani (MXCVII –MCCXCI). Libraria Academica Wageriana: 1893, with Supplement (1904). P.227.

(٣) حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون، ص ٢١٩

Railey Smith, The Templars and The Teutonic Kinghts,London,1978, P.114

(٤) Railey Smith, The Templars and The Teutonic, P.114

قلعة سرفنتيكارة[١]، لأن فرسان التيوتون بنوا مقرا لهم على الحدود بين هرونية سرفنتيكار[٢]، بدون إذن من قسطنطين فاعتبر ذلك انتهاكا لحقوقه، فدخل في نزاع معهم استمر حتى عام ٦٦٩ هـ/١٢٧١م[٣].

ويستنتج مما سبق أن السياسة الخارجية لمملكة أرمينية الصغرى كانت سياسة سلمية وسلبية، منذ وفاة الملك ليو الثاني إلى أن قام المغول بغزو أسيا الصغرى، كما سنرى في الفصل القادم، وذلك تجاه جميع القوى السياسية المجاورة، فلم تقم المملكة بأي عمل عسكري تجاه أي دولة مجاورة. وهذه السياسة فرضتها الظروف الداخلية الصعبة، وأكثر ما عانت أرمينية من ذلك في عهد الملك فيليب الأنطاكي، الذي عاصر السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد، من أقوى سلاطين السلاجقة، الذي استطاع أن يضعف مملكة أرمينية كثيرا، ومن ثم يقلص حدودها.

وفي عهد الملك هيثوم الأول كان الحاكم الفعلي والده كاثوليكوس الأرمن قسطنطين، الداهية العجوز، الذي استطاع أن ينقذ البلاد من الصعوبات التي كانت تمر بها وهي في حالة من الضعف، وخاصة على صعيد السياسة الخارجية، وكما سبق فإن أهم خطوة سياسية قام بها أنه أدخل مملكة أرمينية الصغرى في تبعية السلطان السلجوقي كيقباد وذلك مما مكنه من مواجهة أعدائه، ولاسيما فرسان الداوية، فقد استطاع أن يضعفهم، حيث أدخلهم في حرب مع إمارة حلب، إلى أن ضعفت شوكتهم، فلم يعد يحسب لهم حساب لمدة من الزمن.

---

(١) سرفنتكار ويقال لها سرولدكار أو اسفندكار وهي قلعة حصينة في وادي على صخر وبعض جوانبها ليس له سور للاستغناء عنه بالصخر، وهي على القرب من نهر جيحان من البر الجنوبي، في الشرق عن تل حمدون على نحو أربعة أميال. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ، ص ١٣٤؛

Smbad: P.58, notes 47

(٢) Railey Smith, The Templars and The Teutonic, P114, 117

(٣) Railey Smith, The Templars and The Teutonic, P114 .

وكل الظروف والأحداث التي أحاطت بمملكة أرمينية الصغرى تشير إلى أنها كانت بحاجة ماسة إلى قوى خارجية تعيد لها قوتها ومجدها، مثلما حدث في بداية القرن الحادي عشر الميلادي، حينما قدم الصليبيون من الغرب إلى الأراضي المقدسة، وأعادوا للأرمن أراضيهم في قيلقية التي كانت تحت سيطرة السلاجقة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية والمعربة:

- ابن الأثير،عز الدين نصر الله بن محمد الشيباني(ت ٦٣٠ه/١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، ١٢ أجزاء ، تحقيق: محمد يوسف. بيروت: دار صادر، ٢٠٠٣م.
- أبن بيبي: الأمير ناصر الدين يحيي بن محمد بن على،(ت٦٨٤ه): أخبار سلاجقة الروم،مختصر سلجوقنامة ، ترجمة: محمد سعيد جمال الدين،الدوحة ١٤١٤م/١٩٩٤م.
- أبن العبري:غريغوريوس أبو الفرج أبن أهرون الملطي(ت ٦٨٥ه/١٢٨٦م): تاريخ الزمان، نقله من السريانية الى العربية: الأب إسحق أرملة، وصدر تباعا في مجلة المشرق (١٩٤٩-١٩٥٦م)،قدم له الأب جان موريس فييه،دار المشر ،بيروت ١٩٨٦م.
- ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد(ت٦٦٠ه/١٢٦٢م) زبدة حلب ، ٣ أجزاء ، تحقيق:سامي الدهان،دمشق ١٩٥١م.
- الأصطخري :المسالك والممالك ، تحقيق جابر عبد العال الحسيني ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٣١٨هـ - ١٩٦١م،
- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر،القاهرة ١٩٦٣-١٩٧٢م.
- متى باريس : التاريخ الكبير ، أربعة أجزاء ، في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ٢٠٠١م.
- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٦ أجزاء،دار صادر ، بيروت ١٩٩٣-١٩٩٥م.

ثانيا : المصادر الأجنبية:

Eracles, L' Estoire de Erac1es Empereur et la conqueste de la Terre d' Outre-mer, R.H.C. - H. Occ, T.Il, (Paris, 1859).

Guiragos de Kantzag,Hist.of Armenia,

Oliver of Poderborn. The Capture of Damietta. trans. John.J.

Cavigan, (Philadelphia,1948.)

Röhricht, R., ed. Regesta Regni Hierosolymitani (MXCVII –MCCXCI). Libraria Academica Wageriana: 1893, with Supplement (1904).

Sempad,Le Cannetable,Chronique, in R.H.C.Doc.arm.vol.I

Samuel d'Ani, Extrait de Le Chrongraphic, , in R.H.C.Doc.arm.vol.I,

Vahram ,Le Grand LHistore Universsell in R.H.C.Doc.arm.vol.I.

ثالثا: المراجع العربية والمعربة:

– حسن عبدالوهاب:

تاريخ جماعة فرسان التيوتون في الاراضي المقدسة ، الاسكندرية ،١٩٨٩م

– حسين محمد عطية:

إمارة إنطاكية والمسلمون(١١٧١–١٢٦٨م)،الإسكندرية ١٩٨٩م

– ستيفن رانسيمان:

تاريخ الحروب الصليبية،ترجمة: السيد الباز العرينى، ط٣، بيروت ١٩٩٣م

– سعيد عاشور:

الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٩٦م،

–محمد طقوش:تاريخ سلاجقة الروم في اسيا الصغرى،دار النفائس ،بيروت ٢٠٠٢م

رابعا: المراجع الأجنبية:

Boase,T.S., The Cilician Kingkom of Armenia,London,1979.

Cahen Chen,La Syrie de Nord,Paris,1940

Hans Kuhner, Encyc1pedia of the Papacy, (London, 1959).

King.J., The Knights Hospitaliers in the Holy Land,London,1931

Kurkjian,A history of Armenian, Armenian General ,1958

Rene Grousset., Histore des Croisades et du Royaum France de Jerusalem, 3 Toms, (Paris, Librairi Plon, 1984).

Railey Smith, The Templars and The Teutonic Kinghts,London,1978